نوافق ولا نوافق.. على سفر توت ـ عنخ ـ آمون وبقية ملوك مصر !

محمد المصرى

ابتهال غيث

التحقيق

إن قرار السيد منصور حسن وزير الدولة للثقافة والإعلام بمنع سفر آثارنا المصرية إلى الخارج .. بعد عودة معرض توت عنخ آمون من المانيا الغربية فى يوليو القادم .. ليس هو نهاية المطاف .. ولكن لابد من مناقشة هذا القرار الهام .. فليس معنى أن تمثالا قد تحطم أوكسر .. أن نضيء الضوء الأحمر أمام آثارنا كلها .. ونمنع مرورها إلى المعارض الخارجية .. ونصر على بقائها معنا .. مكدسة فى متاحفنا . ومن يريد أن يراها يأتى لنا ! ..

ونحن نعارف فى البداية .. ان السيد الوزير – قبل أن يتخذ هذا القرار – أعلن فى مجلس الشعب أنه وقف حائرا بين رأيين . الأول حول عرض آثارنا فى الخارج لأن هذا يحقق لنا أهدافا سياسية وثقافية وعائدا ماديا وصل إلى ١٧ مليون دولار نحن فى حاجة إليها .. والثانى يطالب بأن تظل آثارنا فى بلدنا .. ويحضر إليها من يريد أن يشاهدها .

ولم يتخذ الوزير منصور حسن أى قرار بالموافقة أو الرفض على سفر الآثار فى جلسة مجلس الشعب التى عقدت فى الدورة الماضية لمناقشة قضية الآثار المصرية .. ولكنه ترك اتخاذ القرار للمجلس وأعضائه ولجنة الثقافة والإعلام .

وخرج علينا تقرير اللجنة يطالب بمنع عرض آثارنا المصرية فى الخارج للمحافظة عليها . أى إن اللجنة رغم اقتناعها بالرأى القائل بأن هذه المعارض قد ساهمت فى التعريف بالحضارة المصرية إلى جانب أنها حققت أهدافا سياسية وثقافية غير العائد المادى الذى بلغ ١٧ مليون دولار .. وكان فى الواجب أن تخصص جميعها لخدمة الآثار لأنها فى أمس الحاجة إليها .. فإن اللجنة فى نفس الوقت تود أن تذكر أننا نكاد نكون الدولة الوحيدة التى تظل آثارها لعرضها خارج أراضيها . رغم ماقد يحدث لهذه الآثار من ضياع أو سرقة أو تحطيم اثناء عملية النقل أو العرض . وليس ببعيد حادث كسر العظم فوق رأس التمثال ، سلكت ، النادر من مجموعة توت عنخ آمون فى متحف برلين بألمانيا الغربية . والذى عرضت المانيا مبلغ ٢٠ مليون جنيه تعويضا عما حدث له . ولكن هذا التعويض يقوم على مبدأ تجارى دون النظر للدلالات الحضارية ولا للقيم الثقافية . فى حين طلب غير الترميم الأمريكى ١٨ ألف دولار كأجر لترميمه .. بالإضافة إلى أن الآلاف من السائحين الغربيين الذين يزورون مصر أصبحوا محرومين من مشاهدة تلك الآثار النادرة لأن عظمة الأجداد تستوجب أن يسعى الناس إليها لا أن تسعى آثارهم الخالدة إليهم !

ليس معنى أن تمثالا قد كسر .. أن نمنع آثارنا من السفر للخارج

وأوصت اللجنة بضرورة الإيقاف الفورى لخروج آثارنا من مصر . وطالبت بفسخ العقد الذى بيننا وبين ألمانيا الغربية .. بسبب ما تعرضت له آثارنا من تلف . والذى سينتهى فى يوليو ١٩٨١ .

والذى نريد أن نقوله : أن هذا التقرير عرض على أعضاء مجلس الشعب فى نهاية جلسات الدورة الماضية . ولم يأخذ حقه من المناقشة بل إنه لم يناقش بتاتا .. وأن وكيل وزارة الثقافة السابق غادر قاعة مجلس الشعب قبل مناقشة تقرير اللجنة ! ..

وقد تمت الموافقة على هذا التقرير دون أية مناقشة .. سواء من أعضاء مجلس الشعب أو من الحكومة .. وعلى هذا الأساس اخذ الوزير منصور حسن قراره بناء على تقرير اللجنة ..

ونحن نطلب إلى السيد الوزير بالاستماع إلى رأى المتخصصين .. فنحن نؤمن جيدا بأنهم أصحاب الرأى العلمى والموضوعى البعيد عن العواطف .. ونحن لا نشك أبدا فى أن السيد الوزير يؤمن بأهمية ودور العلم فى جميع قضايانا .

وقد استمعنا إلى رأيهم ووجهة نظرهم . فمنهم من يوافق على سفر الآثار إلى الخارج ، ويقدم حججه وأدلته التى تؤكد ضرورة سفر الآثار باعتبارها خير سفير لنا فى دول العالم . وأنها مكنت العالم من التعرف على حضارة مصر القديمة . ورفعت اسم مصر عاليا بين أبناء شعوب العالم .

أما المعارضون لسفر الآثار فيقولون : ماذا استفدنا من عرضها فى الخارج ؟

إن العائد المادى ضئيل جدا بالنسبة للعائد الذى حصلت عليه الدول التى عرضنا فيها آثارنا . كما أن الآثار نتيجة لعمليات النقل والعرض تعرضت للتلف والكسر والتحطم !

المؤيدون يتكلمون

يقول الدكتور شحاتة آدم رئيس هيئة الآثار المصرية : إننى أوافق على استمرار عرض آثارنا فى الخارج . لأنها تؤدى رسالة كبيرة لنشر الحضارة المصرية فى الخارج .

كما أن معارض الآثار تعتبر واجهة مشرفة لنا .. وتقدم للعالم من خلالها إنجازاتنا القديمة بما يدعم قضايانا فى الوقت الحاضر ويكسبنا احترام الشعوب .

فقد كان معرض توت عنخ آمون فى الولايات المتحدة مدعما لقضية السلام التى ندعوها

نوافق ولا نوافق على سفر توت ـ عنخ ـ آمون وبقية ملوك مصر

وعرض آثارنا فى الخارج يؤدى رسالة ثقافية وسياسية . فأثناء أى معرض للآثار تطبع ملايين الكتب عن مصر وحضارتها وآثارها بمختلف لغات العالم . وتحتوى هذه الكتب على صور ملونة لآثارنا .

ويضيف د . شحاتة آدم : إن دخل المعارض وصل حتى الآن ٢٠ مليون دولار . مع مراعاة أننا فى السنوات الأولى – « السبعينات » – لم يكن هناك أى غرض مادى من إرسال هذه المعارض . إنما كان الهدف هو إثارة الانتباه إلى مشروع إنقاذ آثار النوبة . وهذا المبلغ لا يعتبر ضئيلا .

ويقول : إنه لا يوجد أى ضرر على آثارنا ، بل إنها تلقى كل عناية وتخضع للترميم والمعالجة . وإذا كانت هناك قطعة أو قطعتان قد تعرضتا للكسر خلال العشرين سنة الماضية ، فإن ذلك يحدث فى جميع دول العالم . وإننا قبل إرسال أى معرض نقوم بدراسة أهدافه السياسية والإعلامية والاقتصادية . فإذا لم تتحقق هذه الأهداف فإننا نرفض إقامة المعرض .

خير سفير لنا

ويرى ناصف محمد حسن مدير منطقة آثار القاهرة والجيزة : أن آثارنا التى عرضت فى الخارج كانت خير سفير لنا . . وجذبت انتباه العالم لنا . . وجعلت لمصر عشاقها . . وروجت السياحة بمصر فى فترة عرضها . فكل من يشاهد آثارنا فى الخارج يصمم على زيارة مصر ليرى حضارتها ويستمتع بعظمة أهراماتها ومعابدها ومقابر ملوكها . . ومن لم يستطع زيارتها لعدم قدرته المادية يبدأ فى القراءة عن مصر وحضارتها وآثارها .

وعن الذين يعارضون سفر آثارنا يقول : أريد أن أوجه لهم سؤالا محددا . ما فائدة أن نكتشف عن آثار قيمة كانت موجودة فى ظلمات المقابر أو فى باطن الأرض . ثم نكدسها فى مخازن ونتركها عشرات السنين دون أن يراها أحد . . أو يستمتع برؤيتها أى مشاهد ؟ . . فهل هى تخرج من ظلام القبور إلى ظلام المخازن ؟ . . إن كل أثرى فى العالم يعلم أن مصر بها رصيد كبير من الآثار . . ولكنها « مشولة » فى بدروم المتحف المصرى فى مخازن عتيقة بالية لا تصلح للتخزين . وتوجد فى منطقة الهرم ٧ مخازن مكدسة بالآثار المصرية . . ورغم ذلك كله نسمع أن هناك

مطلوب من د . سهير القلماوى رئيسة لجنة الثقافة والإعلام بمجلس الشعب مناقشة قرار منع عرض آثارنا بالخارج مرة أخرى

الآثار المصرية هى خير سفير لنا فى جميع دول العالم

أصواتا عالية ضد عرض وسفر الآثار للخارج . رغم ما تحققه من كسب أدبى ودعاية لمصر . عجز الإعلام المصرى الخارجى عن تحقيقها .

ويقول : إننى أشجع سفر الآثار المصرية للخارج . مع وضع الاحتياطات الصارمة لتأمين وسائل نقل هذه الآثار . واختيار القطع المكررة الموجود منها الكثير فى مخازننا .

وما حدث لتمثال « سلكت » فى أثينا الغربية . فقد كان من المفروض أن يكون الأثر الذى سافر مع هذا المعرض متواجدا دائما . ويراعى كل قطعة ويشرف على نقلها .

ويبدى مدير منطقة آثار القاهرة تعجبه من أن آثارنا المصرية فى الخارج تعرض فى أحسن حال . وأفضل الظروف . ويوجد بكل متحف قسم خاص عن الآثار المصرية . ومع ذلك فإننا نطالب بجمع [illegible] وتضعها مكدسة فى المخازن !

وهناك وجهات نظر أخرى توافق على سفر الآثار للخارج . ولكنهم يوافقون بشروط . فإذا تحققت فلا مانع من سفر الآثار .

فالدكتور جمال مختار رئيس هيئة الآثار السابق وعضو المجلس الأعلى للثقافة يرى أن سفر الآثار معترف به فى العالم كله .

ولعل السبب فى إرسال هذه المعارض هو تقدم فن الترميم الذى يضمن عدم تلف التحف الأثرية . وتقدم عملية التغليف وتطور عمليات النقل . كما أن كثيرا من الدول تقترح على مصر إرسال بعض تحفها لتعرض هنا . وقد أرسلت المختارا فعلا منذ بضع سنوات روائع التحف التوتانخامونى . وأيضا فرنسا أرسلت بعض القطع الرائعة من النسيج والسجاجيد المعلقة . كما أن العراق وسوريا أرسلت معارضها إلى الخارج . . ولهذا يجب علينا عدم التخلف عن الاتجاه العالمى . . تجمع آثارنا من عرضها فى الخارج . ونحن أرسلنا آثارنا للخارج للدعوة لإنقاذ آثار النوبة التى كانت ستغرق فى مياه السد العالى . ونجحت هذه الدعوة واستجاب العالم كله . وتم إنقاذ هذه الآثار .

ويضيف قائلا : لهذا فإننى أرى أنه لابد من تقييم فكرة إرسال الآثار للخارج . ودراسة المزايا والعيوب . فإذا أعطانا هذا التقييم مؤشرا بالاستمرار فى عملية إرسال الآثار يجب وضع سياسة ثابتة وخطة مدروسة وقواعد محددة لهذه العملية . أما إذا أثبت التقييم أن مضار هذه العملية إعلاميا وثقافيا وسياسيا أكثر من فوائدها . فيجب إيقافها فورا .

ويقول أيضا : إننى لا أملك القدرة على هذا التقييم لأن الإشاعات واليافطات التى توالت علينا بعد إصابة آثار توت عنخ آمون ليست تحت يدى . فالبعض يقول : إن معظم القطع الأثرية قد أصيبت بعطب شديد . وتبلغ ٤٢ قطعة من ٥٥ قطعة . وفى مقدمتها القناع الذهبى لتوت عنخ آمون . بينما نجد أن هيئة الآثار تخرج علينا ببيانات مقتضبة يظهر فيها عنصر الدفاع ومحاولة تبسيط العملية .

ويشير د . جمال مختار إلى أن هناك بعض القواعد المحددة التى يجب أن نتبعها إذا رأت الدولة العودة فى قرارها . وقررت استمرار عرض آثارنا فى الخارج ، مثلا :

● تحديد الهدف من إرسال أى معرض للخارج . لأنه من الملاحظ أن هذه المعارض بدأت بهدف إعلامى لتعريف مواطنى الدول بعظمة الآثار المصرية . ثم تحول الهدف إلى عملية استجداء مادى لاهم لها إلا جمع المال . وهذا أمر لا يتفق مع كرامة الآثار وعزة مصر . ويجب ألا يرسل أى معرض إلا لجميع مدن فى دولة واحدة أو لجميع دول متقاربة .

● يجب أن تصحب هذه المعارض دعاية سياحية [illegible] مصر . حتى لا يفهم الناس هناك أن هذه [illegible] مصر فقط . ولكن يجب ان نوضح لهم [illegible] الآثار الموجودة فى متاحفها . وأيضا الأهرامات وأبو الهول والكرنك والآثار الإسلامية والقبطية واليونانية

● ألا تقتصر معارض الآثار على الفرعونية

فقط . بل يجب إرسال معرض للآثار الإسلامية وآخر للآثار القبطية إلى نفس الدول ، حتى لا يكون كل الضغط موجها للآثار الفرعونية بوجه عام . وآثار توت عنخ آمون بوجه خاص .

● أن يكون المسئول الأساسى عن الآثار ، هو المرمم مع الأثرى . ويجب تقوية الآثار وترميمها قبل إرسالها للخارج ، وأن يكشفا عليها كشفا دقيقا . ويكتبا تقريرا عن حالتها عند وصولها . ويشرفا على وضعها فى الفترينات . ويحددا كافة العوامل التى تؤثر فيها من حرارة ورطوبة وإضاءة . وعند انتهاء المعرض يجب أن يعيدا الكشف على القطع مرة ثانية ويكتبا تقريرا عنها . ويشرفا على تعليفها . وعلى وسيلة نقلها إلى أى معرض آخر أو عودتها إلى مقرها الأصلى .

● الإقلال من النفقات التى تصرف خارج عمليات المعرض ذاته . كسفر عدد كبير من المسئولين مع زوجاتهم لافتتاح كل معرض . ومعهم « حاشية » كبيرة . ويغدق عليهم أصحاب المعارض لترفيههم . ويصرفون لهم بذاكر طيران بالدرجة الأولى والإقامة فى أفخم الفنادق . ونظام فهم الحفلات . كل ذلك يخصم فى النهاية من دخل المعرض . ولهذا يجب أن يحسب مصاريف المعرض بدقة حتى لا نصاب بصدمة عندما نجد أن العائد قليل ! ! ..

أوافق على السفر

ولكن إبراهيم النواوى مدير عام الآثار المصرية له رأى آخر فى قضية سفر الآثار . فهو يقول :

لقد كان الهدف الأساسى من سفر آثارنا للخارج منذ ثلاثين عاما هو تعزيز العلاقات الثقافية بين مصر والعالم الخارجى . دون التفكير فى العائد المادى لهذه المعارض . إلا بالقدر الذى يسمح بعمليات الصيانة والعلاج وتغطية المصاريف الإدارية لمعارض الآثار . كما كان الهدف أيضا هو تعريف العالم بالحضارة المصرية وتراثنا .

وتعريف المثقفين فى العالم على الكنوز المصرية وتراثنا وجذب اهتمام الدارسين والمهتمين بتاريخ الدراسات المصرية . وتنشيط مجالات عملهم . وخلق المجالات العلمية للاحتكاك وتبادل الخبرات بين الجانب المصرى والأثريين العالميين وتقوية الروابط بيننا وبينهم .

ويمكننى أن أقول : إن معارض الآثار استطاعت أن تحقق هذا العائد الثقافى والسياحى والإعلامى . على أعلى مستوى . أما العائد الاقتصادى . فإننى أعتقد أننا لم نحصل على العائد الذى يتناسب مع هذه الأعداد الهائلة التى زارت هذه المعارض فى جميع دول العالم .

وكان من المنتظر أن تكون الحصيلة الاقتصادية أكثر مما تلقيناه منها . باعتبار أن حصيلة هذه المعارض كانت ستخصص أساسا لعمليات علاج وصيانة الآثار وتطوير المناحف الأثرية . ولكن ذلك لم يحدث !

ويقول مدير عام الآثار المصرية : رغم ذلك . فإننى أرى أن تستمر معارض آثارنا فى الخارج . لأن ذلك يحقق لنا أهدافا ثقافية وإعلامية . . ولكن يجب ألا نعرض بالكمية التى عرضت فى السنوات الأخيرة . وتنتقى بعض القطع المتميزة الصالحة للعرض التى تتحمل السفر والتنقل . وأن تعطى هذه القطع بحملة موضوعية عن الحضارة المصرية ليكون الهدف منها هو توصيل معلومات جيدة عن الحضارة المصرية وعن مصر الحديثة . وأن تكفل هذه القطع جميع الضمانات . حتى تحقق العائد المادى الذى يمكن أن نستفيد منه فى تطوير مناحفنا وصيانة آثارنا .

للمعارضين رأى :

. . وإذا كانت هذه هى آراء وحجج الذين يؤيدون سفر الآثار للخارج . لأنها كانت – على حد قولهم – خير سفير لنا . . وحققت عائدا ماديا وأدبيا وثقافيا وإعلاميا لنا . . فما هى آراء المعارضين لسفرها أيضا ؟ . ولماذا يعترضون على سفرها ؟

يقول زاهى حواس مفتش آثار الهرم : إننى قبل أن أوضح رأيى فى الموافقة أو الرفض على سفر الآثار . . لابد أولا من الإشارة إلى الفوائد والأضرار التى عادت علينا من عرض آثارنا فى الخارج .

فعندما سافرت آثارنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية هذه المدة الطويلة . . كان المواطن الأمريكى لا يعلم عن الحضارة أو الآثار المصرية شيئا . . وعندما عرضت آثارنا هناك انبهر بها الشعب الأمريكى . . وكنا نجد أن الأطفال هناك يرتدون ملابس عليها صورة هذا الملك الصغير .

وبهذا نستطيع أن نقول إن الفائدة الأولى التى عادت علينا من معارض الآثار . . هى الدعاية الكبيرة لمصر وحضارتها . . والتى بلا شك خدمت القضية السياسية المصرية . وأعتقد أن هذه هى الفائدة الوحيدة التى عادت علينا .

أما إذا نظرنا إلى الأضرار . فنجد أن المبالغ التى حصلنا عليها من دخل المعرض – على قدر علمى – هى خمسة ملايين دولار فقط . . خلال العامين اللذين عرضت فيها آثارنا فى الولايات المتحدة الأمريكية . وهذا المبلغ يعتبر ضئيلا جدا بالنسبة إلى دخل المعرض فى كل ولاية من الولايات الأمريكية . بالإضافة إلى المكاسب المادية الكبيرة التى حصل عليها منظمو المعرض من الجانب الأمريكى . نظير بيع المقتنيات الأثرية المقلدة . والمبيعات السياحية والشرائح الملونة . وهذه المجموعات تحقق دخلا يقدر بملايين الدولارات . . فعندما عرضت آثار توت عنخ آمون فى شيكاغو كان دخل المعرض حوالى ٣٠ مليون دولار . .

حققت الآثار المصرية بالخارج عائداً مادياً وثقافياً وحضارياً . . عجزت عن تحقيقه مكاتبنا الإعلامية !

إذن فالعائد المادى الكبير كان للجانب الأمريكى فقط . . بينما لم تراع الاتفاقية حصول مصر على حقها من دخل هذا المعرض الذى كان يمكن أن نستخدمه فى بناء مناحف جديدة لمصر . بدلا من هذه المناحف المكدسة بالآثار . . ولذلك فإن الفائدة التى عادت علينا من عرض آثارنا فى الخارج هى « ملاليم » . إذا قيست بالدخل العام للمعارض ! .

بالإضافة إلى ذلك . . فإن عمليات نقل الآثار خلال مدة عرضها يؤثر عليها تأثيرا سيئا . . وقد كسر نحالل العطوب للإفلة « سلكت » . . وقد كسر هذا التمثال نتيجة عمليات النقل والإهمال فى حفظه . . كما أن الأحوال الجوية التى تحيط بالآثار تؤثر عليها تأثيرا شديدا . . وتساهم فى إتلافها . . فارتفاع درجة الحرارة أو الرطوبة من مكان لآخر . له تأثير خطير على الآثار . مهما كانت إجراءات تأمين الأثر .

ويؤكد الأثرى زاهى حواس : أنه ضد سفر الآثار من مصر . وعرضها فى الخارج بطريقة لا تليق بها . . وأن عرضها بالمناحف فى مصر أو داخل المناطق الأثرية يمكن أن يحقق لنا هذا الدخل الذى نقول إن الآثار يعرضها فى الخارج حققته لنا .

ولكن ما هو البديل عن سفر الآثار المصرية إلى الخارج ؟

يرى زاهى حواس أن البديل عن سفر الآثار . . هو تنظيم رحلات من الأثريين لإلقاء محاضرات عن الآثار والحضارة المصرية فى الدول الأوربية والأمريكية . فهذه المحاضرات تعتبر أكبر دعاية لمصر . . ولابد أن يكون الأثريون المختارون على مستوى لائق من حيث المظهر واللغة . . لأنهم يتكلمون عن حضارة مصر القديمة والحديثة فى نفس الوقت .

والبديل الآخر لسفر آثارنا للخارج هو عمل معارض تضم نماذج من آثارنا الفريدة سواء فى سفاراتنا أو فى قاعات المناحف الأجنبية . لأن المواطن إذا رأى هذه النماذج فإنه سوف يحضر لمشاهدة أصل هذه النماذج . وبالتالى سوف نستفيد من العملة الصعبة التى سيدفعها فى مصر .

ويضيف زاهى حواس : إننا يجب علينا الاهتمام بمكاتبنا السياحية فى الخارج وتطويرها وتزويدها بالإمكانيات لإبراز دور الحضارة المصرية والدعاية لآثارنا المختلفة فى مصر .

أما عن الذين يقولون إنه يمكن الموافقة على سفر القطع المكررة فإننى أقول إن هذا رأى سليم . . ولكن مناحف أوربا كلها وأمريكا أيضا بها آثار مصرية لا توجد لدينا مثلها . فكيف سيقبلون قطعا مكررة . وهم لديهم مخازن مليئة بمثيلاتها . . المتحف « بوسطن » نظم معرضا عن « الحياة اليومية المصرية القديمة » منذ أربعة شهور . وحصل على ٣٠٠ قطعة من مناحف أوربا . وأخذوا من مصر ٢٠ قطعة فقط . فالدلتا والقطع المكررة . موجود منها الكثير فى الدول الخارجية ، وبالنسبة لمعرض توت عنخ آمون أو « الأقحوان والملوك » فهى آثار من القيشانى أو الخشب . . وخروج هذه الآثار من مصر يعتبر « جريمة » . . لأن هذه القطع تعتبر أكثر القطع تعرضا للتلف . رغم كل إجراءات الحفاظ عليها !

● ● ●

هذه كانت آراء المؤيدين لسفر آثارنا للخارج . والمعارضين أيضا . . وهى بلا شك آراء متخصصة وعلمية وموضوعية . . تقدمها لوزير الدولة للثقافة والإعلام السيد منصور حسن حتى يمكن إعادة النظر فى قرار المنع . . وفتح ملف آثارنا مرة أخرى فى لجنة الثقافة والإعلام بمجلس الشعب لدراسة هذه القضية الهامة مرة ثانية . □